

## المرض

"هوذا الذي تحبه مريض" (يو 11 : 3) .

هذه الرسالة الموجزة " هوذا الذي تحبه مريض " ، أرسلها كلاً من مرثا ومريم إلى الرب يسوع . لقد كان أخوهما لعازر مريضاً . ولعازر كان مؤمناً ، وكان محبوباً جداً من الرب يسوع ، ومع ذلك كان مريضاً . لذلك لا يمكننا أن نعتقد بأن المرض علامة على غضب الله . بل بالأحرى هو مقصود به خيرنا . " كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الله ، الذين هم مدعوون حسب قصده " (رو 8 : 28) .

ومن المهم أن نتأمل في موضوع " المرض " . فمن المحتمل أن تمرض في وقت ما . وعندما تفكر في موضوع المرض بجدية مقدماً ، فذلك قد يفيدك كثيراً . وسوف نتأمل في هذا الموضوع تحت ثلاثة عناوين رئيسية .

### 1 - المرض موجود في كل مكان :

المرض موجود في كل مكان في العالم ، وبين كل طبقات البشر . فلا الغنى الأرضي ، ولا الإيمان بالمسيح ، يمكن أن يعفينا من المرض . وكثيراً ما يكون المرض خبرة إذلال ، فيجعل الإنسان القوي مثل طفل صغير ، ويجعل الرجل الشجاع يرتجف لأتفه الأمور . إنه يستطيع أن يؤثر على عقولنا وعلى تفكيرنا ، كما أنه لا يمكن منعه بواسطة أي شيء بشري . قد تزيد معدلات الأعمار باستخدام الطب المتقدم ، وقد تظهر علاجات كثيرة للأمراض مختلفة ، لكن تظل " أيام سنينا هي سبعون سنة وإن كانت مع القوة فثمانون سنة ، وأفخرها تعب وبلية ، لأنها تُقرض سريعاً فنطير " (مز 90 : 10) . هذا الكلام كان صحيحاً عندما كتبه موسى ، ولا يزال صحيحاً حتى يومنا هذا .

لكن ، بماذا نفّسر شمولية المرض ؟ لماذا يمرض الناس ويموتون ؟ لا يمكن أن نفكر - ولو للحظة واحدة - أن الله قد خلق المرض منذ البدء . كل ما خلقه الله كان " حسناً جداً " . وواضح أن ما خلقه الله ، لم يكن يشمل المرض . ولكن الكتاب المقدس يحدثنا عن شيء ما ، قد جاء إلى العالم بعد ذلك ، ولم يكن موجوداً منذ البدء . هذا الشيء هو الخطية . والخطية هي سبب المرض والألم والمعاناة في العالم . ولو لم توجد الخطية ما كان هناك مرض .

يمكنك أن ترى أن الكتاب المقدس هو الوحيد الذي يعطينا التفسير المُقنع للحقائق كما هي ، فالكتاب المقدس يفسّر كيف أننا نملك أجساداً عجيبة ! ويشرح لنا ، كيف إننا عرضة للمرض والمعاناة ، على الرغم من أننا مخلوقون بواسطة الله الكلّي الحكمة والصلاح . إن تعاليم الكتاب المقدس العظيمة عن الخلق والسقوط هي التفسير الوحيد لذلك .

## 2 - المرض يمكن أن يكون خيراً للبشر :

ربما تتعجب إذا عرفت أن المرض يمكن أن يكون خيراً لنا ، فالكثيرون لا يعتبرونه كذلك ، إنهم ينظرون فقط إلى الألم والمعاناة ، ولا يرون فيه أي خير على الإطلاق . إنني أوافق على أنه لو لم تكن هناك خطية في العالم ، لكان من المستحيل أن يقيد المرض الإنسان .

لم يكن هناك مرض في العالم الذي خلقه الله بدون خطية . لكن الله سمح بالمرض في حكمته ، منذ سقوط الإنسان . وأنا أرى في المرض بركة بنفس قدر اللعنة ، لأن الله يستطيع أن يستخدم المعاناة والآلام الحاضرة ، لتكون سبب خير عظيم لقلوبنا وعقولنا وضمائرنا ونفوسنا إلى الأبد . إن المرض يساعد على تذكير الإنسان بالموت ، فأغلب الناس يعيشون وكأنهم لن يموتوا ، ولا يعملون أي استعداد للموت . لكن المرض يمكن أن يذكرهم بما يفضلون أن ينسوه .

إن المرض أيضاً يساعدنا على أن نفكر جدياً في الله ، فالكثير من الناس عندما يكونون أصحاء ، يختارون أن ينسوا الله وعلاقتهم به . لكن المرض يمكن أن يذكرهم أنهم حتماً سيقابلون الله يوماً ما .

كذلك يساعدنا المرض على أن نغيّر من نظرتنا للحياة ، فالكثيرون لا يفكّرون في أي شيء ، عدا سعادتهم في هذا العالم . لكن المرض المزمّن يمكن أن يغيّر تقييمهم للأمور التي كانوا يعتقدون أن لها أهمية عظيمة في حياتهم . مثلاً - الإنسان الذي يُحب المال ، يمكن أن يتعلّم أن ماله لا يستطيع أن يريحه عندما يكون مريضاً .

والمرض يساعدنا على الاتضاع . نحن متكبرون بالطبيعة . فنحن كثيراً ما نحتقر أناس من حولنا . لكن المرض يُظهر لنا ضعفنا . فهو يصيب الغنى والفقير ، المشهور والمغمور . إنه يضعنا جميعاً على نفس المستوى .

والمرض يساعدنا كذلك على أن نمتحن إيماننا ، فهو يساعدنا على أن نعرف إذا ما كان إيماننا حقيقياً ، مبنياً على أساسي صخري . الكثيرون لا يبنون على أساس صخري ، لذلك فإن وقت المرض قد يكشف لهم أن إيمانهم الخادع لا يوفر لهم الراحة في وقت التجربة .

لست أريدك أن تعتقد أن المرض يكون دائماً مفيداً لكل الناس على نفس القدر بهذه الصورة ، فأنا لا أقصد هذا . فالكثيرون يختبرون المرض ، ولا يتعلّمون منه شيئاً على الإطلاق ، كما يظهر من سلوكهم بعد المرض . إن كانت قلوبهم قاسية فلن يفيدهم المرض شيئاً . لكن فلن يوجد الكثيرون الذين جعل الله المرض بركة لهم . لقد استخدم الله المرض ليتحدث إليهم ، وليقودهم ليطلبوا المسيح . لذلك لا يجب علينا أن نشكوا من المرض أبداً . وإذا ما استجبنا له كما ينبغي ، فمن الممكن أن يكون لنا خيراً عظيماً .

### 3 - الواجبات التي يذكّرنا بها المرض :

أريدك أن تكون عملياً ومحدّداً ، بشأن الواجبات الخاصة التي يدعونا إليها المرض . أريدك أن تكون واضحاً تماماً بشأن ما يجب عليك أن تفعله ، في عالم المرض هذا .

الواجب الأول الذي يذكّرنا به المرض هو أن نحيا بالطريقة التي تجعلنا مستعدّين دائماً لملاقاة الله . والمرض يذكّرنا بالموت ، ذاك الباب الذي ينبغي أن نعبر منه إلى الدينونة ،

وفي تلك الدينونة ، سوف نرى الله وجهاً لوجه . لذلك فإن الدرس الأول الذي يعلمنا المرض إياه ، هو أن نكون مستعدين لملاقاة الله .

هل تعرف متى تكون مستعداً لملاقاة الله ؟ في حالة واحدة فقط ، عندما تغفر خطاياك ويتجدد قلبك ، وعندما تتدرب إرادتك أن تبتهج بإرادة الله . إنك مُحمَّلٌ بالكثير من الخطايا ، ودم يسوع المسيح فقط ، هو الذي يستطيع أن يزيل تلك الخطايا . برُّ المسيح فقط ، هو الذي يستطيع أن يجعلك مقبولاً في حضرة الله .

كل هذه الامتيازات تنالها بالإيمان فقط . لذلك ، إذا كنت تريد أن تعرف إذا ما كنت مستعداً لملاقاة الله ، فيجب عليك أن تسأل : "هل عندي إيمان ؟" . إن قلبك - بالطبيعة - غير مُهيأ ليكون في شركة مع الله . لكن الروح القدس فقط هو الذي يستطيع أن يغيّرِكَ ، ويجعل كل شيء جديداً ، ويعطيك أن تفعل مشيئة الله بكل سرور . لذلك ، إذا كنت تريد أن تعرف إن كنت مستعداً لملاقاة الله أم لا اسأل نفسك سؤالاً آخر : " هل تغيّرت حياتي وقلبي بالروح القدس ؟ " .

لا شيء أقل من هذا ، يمكن أن يجهّزنا لملاقاة الله . علينا أن نتبرر ، وأن نتقدّس . دم المسيح يجب أن يُرش علينا وروح المسيح يجب أن يحيا فينا . هذه هي أساسيات الإيمان المسيحي ، وفي عالم المرض هذا ، فإن واجبك الأول هو أن تتأكد أنك تمتلك هذه الأساسيات .

والواجب الثاني الذي يذكرنا به المرض هو أن نحيا دائماً بالطريقة التي تُمكننا من احتمال بصبر . ليس شيئاً سهلاً أن تكون مريضاً . هذا قد يجعلنا ننقطع عن نشاطاتنا العادية ، وقد يعطل مشروعاتنا ، وقد يجعلنا نتحمل ساعات طويلة من الإنهاك والألم . هذه كلها قد تسبب لنا توتراً شديداً ، وقد تكون اختباراً لصبرنا . لذلك يجب أن نتعلم الصبر ونحن أصحاء ، قبل أن تحدث لنا هذه الأمور . يجب أن نصلي أن يقدّس الروح القدس طباعنا وتطلعاتنا . يجب أن نصلي صلاة حقيقية، حتى نعمل إرادة الله . تذكّر أن القوّة التي نحتاج إليها ، هي في متناول أيدينا . " إن سألتكم شيئاً باسمي ، فإني أفعله " (يو 14 : 14) .

أريد أن أركز على هذه النقطة . هناك بعض الفضائل في المسيحية ، لا تلقى الاهتمام الواجب ، فالحلم والبرقة والاحتمال والإيمان والصبر ، كلها ثماراً للروح القدس ، وهي تمجد الله . إن الناس الذين يحتقرون الجانب الإيجابي في حياة الشخص المؤمن غالباً ما يضطرون أن يفكروا بجديّة عندما يرون مثل هذه الفضائل في حياته .  
وخلال وقت المرض تظهر هذه الفضال بوضوح . إن الكثير من المؤمنين، لهم تأثير فعّال على الآخرين ، ليس من خلال كلماتهم، ولكن من خلال الطريقة التي يتقبلون بها المرض.

هل تريد أن تجعل إيمانك مؤثراً في الآخرين ؟ عليك إذن أن تكتسب نعمة الصبر الآن ، قبل أن تختبر المرض . وهكذا فعندما تمرض ، فإن مرضك سوف يكون لمجد الله .

والواجب الثالث الذي يذكرنا به المرض ، هو أن نكون مستعدين دائماً لأن نتعاطف مع رفقائنا ونساعدهم . يوجد دائماً شخص مريض قريب منك ، ربما داخل أسرتك أو كنيسةك أو جيرانك . يجب أن نتظر لهذا الأمر كفرصة لعمل الخير . ربما يحتاج هذا المريض إلى مجرد سؤال مشجّع ، أو أن نُظهر له الاهتمام أو التعاطف أو ربما زيارة وديّة . هذه الأعمال البسيطة ، تعمل على إزالة الحواجز ، وتخلق شعوراً طيباً لدى المريض ، ويمكن أن تكون وسائل تقود الناس إلى المسيح . إنها الأعمال الصالحة ، التي يجب على كل مسيحي أن يكون مستعداً لها . في عالم الأسقام والأمراض هذا يجب علينا " أن نحمل أثقال بعض " (غل 6 : 2) وأن نكون " لطفاء بعضنا نحو بعض " (افس 4 : 32) .

إن الالتفات الواعي إلى أعمال الرحمة هذه ، هو واحد من أسطح البراهين على أن لنا " فكر المسيح " ، والرب يسوع المسيح نفسه، " جال يصنع خيراً " للمرضى والمتألمين (اع 10 : 38) . والأهمية العظمى التي يعلقها السيد المسيح على هذه الأعمال ، تظهر في وصفه لشعبه عندما يجلس على كرسي مجده ، و يقول: " كنت مريضاً فزرتموني " (مت 25 : 36) .

هل تريد أن تبرهن على حقيقة محبتك المسيحية ؟ إذن فاحترس من الإهمال الأناني لإخوتك وأخواتك المرضى . التفنت إليهم، وقدم لهم المساعدة التي يحتاجونها . تعاطف معهم

وحاول أن تخفف أحمالهم ، وفوق الكل ، اجتهد أن تفيدهم روحياً . إن هذا سيكون لخيرك أنت ، حتى لو لم يكن نافعاً لهم . إنني أو من تماماً إن الله يختبرنا من خلال كل حالة مرض في دائرنا ، ومن خلال المعاناة التي يسمح بها الله لنا، فإنه يختبر مشاعرنا كمؤمنين . احترس ، لئلا تُمتحن فتوجد ناقصاً ! إذا كنت تستطيع أن تحيا ، في عالم المرض ، ولا تشعر بإخوتك ، فسيظل أمامك الكثير لتتعلمه .

### الخلاصة

دعني أختم الآن بأربعة تطبيقات عملية :

1 - أسألك سؤالاً : ماذا ستفعل عندما تكون مريضاً ؟

سيأتي وقت المرض والموت لكل إنسان، وسوف يأتيك أنت عاجلاً أم آجلاً. ماذا ستفعل من أين ستطلب الراحة ؟ على أي شيء سوف تؤسس رجاءك ؟ أناشدك ألا تهمل هذه الأسئلة . اجعلها تعمل في ضميرك ، ولا تسترح حتى تجد إجابة مرضية لها . إن مصيرك الأبدي أمر في غاية الأهمية ، إلى الدرجة التي تجعل هذه الأسئلة في غاية الأهمية . إن أهم الأمور في هذه الحياة لا يجب أن نتركها حتى النهاية .

لا يمكنك أن تفترض أنك ستستطيع أن تتوب وأنت على فراش الموت . لقد صُلب لسان مع يسوع . تاب أحدهما في وقت النهاية ، والآخر لم يفعل ، فلا يوجد مبرر يؤيد أن تفترض أنك يمكن أن تتوب على فراش الموت بينما أنت ترفض أن تفعل ذلك الآن . إذا كنت ستحيا للأبد في هذا العالم ، لما وجهت هذا إليك ، لكنك لن تحيا هنا إلى الأبد . فأنت ستموت ، وأريدك أن تكون مستعداً لذلك اليوم . أناشدك أن تفكر في كم سيكون الأمر مرعباً ، لو أنك عملت استعداداً لكل شيء ، ما عدا الشيء الذي هو ضرورياً حقاً .

2 - أقدم نصيحة لكل من يحتاج إليها ، ويرغب في قبولها . أقدمها لكل إنسان غير مستعد لملاقاة الرب . تعرف على الرب يسوع الآن ، بلا تأجيل . تب وتجدد ، وأسرع إلى المسيح لتخلص . لا يوجد مقامر على الأرض في غياب الإنسان الذي يقامر على نفسه ، الإنسان الذي لم يستعد لملاقاة الله ويؤجل توبته . إنك تعرف أن خطاياك تحتاج حلاً . وتدرك أنك تحتاج إلى مخلص . إذاً ، اذهب إليه الآن ، واصرخ إليه ليخلص نفسك . أسرع إليه ، اطلبه بإيمان . سلم نفسك له ، واطلب منه الصفح ، والسلام مع الله . اطلب منه سكين من

الروح القدس إلى قلبك ، وأن يجعلك مؤمناً حقيقياً . هو سيصغي إليك . إنه لن يرفض صلاتك، مهما كانت . لقد قال : " من يُقبل إليّ ، لا أخرجُه خارجاً " (يو 6 : 37) .

أناشذك أن تحذر الإيمان الغامض وغير المحدّد . لا تعتقد أن الأمور ستكون على ما يُرام، سوى بالعلاقة الشخصية مع الرب يسوع المسيح . أناشذك ألا تهدأ، حتى يشهد الروح القدس في قلبك، أنك قد اغتسلت وتقدّست وتبرّرت، وصرت واحداً مع المسيح .

إن التدين الغامض وغير المحدّد يكفيك عندما تكون مكتمل الصحة ، لكنه لن ينفَعك على الإطلاق عندما تمرض . إنه سيتحطم تماماً في مشهد النهاية ، لكن المسيح وحده هو الذي يستطيع أن يبطل شوكة الموت ، ويمكننا أن نواجه مرضنا الأخير دون خوف . إننا نحتاج أن نتحد به ، أن نعرفه ونؤمن به كرئيس كهنتنا الذي يشفع فينا عن يمين الله . هو وحده الذي يستطيع أن يخلص أولئك الذين خوفاً من الموت - يعيشون حياتهم تحت العبودية . إذا كنت تريد رجاءً وعزاءً في مرضك ، تعرف على المسيح، واطلبه الآن .

3 - إنني أنصح كل المؤمنين الحقيقيين ، أن يتذكروا أن بإمكانهم أن يمجدوا الله كثيراً في مرضهم ، وانهم يجب أن يرقدوا هادئين في يد الله عندما يمرضون . هذا أمر مهم للغاية . أنا أعلم كيف أن قلب المؤمن مهياً للضعف ، وأعلم أن إبليس يقود إلى الشكوك والارتيابات ، عندما يكون جسد المؤمن ضعيفاً . لقد شاهدت بعضاً من الإحباطات التي يمكن أن تُصيب أولاد الله عندما يمرضون فجأة ، ويُجبرون على الالتزام بالراحة . إنني أسأل بجدية كل المرضى المؤمنين، أن يتذكروا انه بإمكانهم أن يمجدوا الله من خلال احتمالهم بصبر في وقت المرض ، مثلما يفعلون في وقت النشاط والعمل . إن المرض يُظهر بوضوح نعمة أكبر عندما نرقد في هدوء، أكثر مما يظهر ونحن في العمل الشاق . أناشدهم أن يتذكروا أن المسيح يعتني بهم عندما يمرضون ، كما كان يعتني بهم وهم أصحاء . ليتذكروا فوق الكل ، كيف أن المسيح يعطف على أعضاء جسده الضعيفة . وأنهم موضوع عنايته الرقيقة خاصة في وقت الاحتياج . أن المسيح له خبرة كثيرة مع المرض . انه يعرف قلب المريض . " هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا " (مت 8 : 17) . وكان الرب يسوع " رجل أوجاع ومختبر الحزن " (اش 53 : 3) . إن التلاميذ الذين يعانون لهم فرصة أن يتعلموا فكر المخلص المتألم .

4 - أخيراً أنصح كل المؤمنين ، أن يحافظوا على الشركة الحميمة مع المسيح ، وألا يخافوا من أن يتطرقوا في إيمانهم . أرجو أن يتذكروا هذا ، إذا كانوا يريدون سلاماً حقيقياً في وقت المرض . أنا أعتقد أن هناك سبباً واحداً ، يجعل الكثيرين لا يجدون إلا تعزية قليلة جداً ، سواء في وقت الصحة أو في وقت المرض ، وهذا السبب هو نقص الإخلاص في الإيمان . إن الإيمان المهادن (مجاراة الناس) مهينٌ لله ، كما أنه يلاشي التعزية الحقيقية في وقت الاحتضار . الإيمان الضعيف - غير الفعال - ينكشف بوضوح في وقت المرض .

إذا كنا نريد تعزية قوية في وقت الحاجة ، يجب ألا نكون مكتفين بكوننا مجرد مسيحيين . يجب أن تكون لنا العلاقة القوية والمُخلصة مع المسيح . عندما يقف الطب عاجزاً ، ولا يبقى أمامنا غير الموت ، فما الذي يقوينا آنذاك ؟ وما الذي يُمكننا حينئذ أن نشعر بما شعر به كاتب المزمور ؟ " لا أخاف شراً " (مز 23 : 4) . لا شيء على الإطلاق يجعلنا غير خائفين إلا الشركة الحميمة مع المسيح . فالمسيح يحيا في قلوبنا بالإيمان ، والمسيح يضع يمينه تحت رؤوسنا، ونشعر به يجلس إلى جوارنا ، وهو وحده الذي يستطيع أن يمنحنا الانتصار الكامل في صراعنا الأخير .

لنتمسك أكثر بالمسيح ولنحبه أكثر ، ولنحيا له كلية . لنعترف به بجراءة أكثر، ولننبهه بكل معنى الكلمة . هذا النوع من الإيمان له مكافأة عظيمة .

لكن أهل العالم ربما يسخرون من هذا ، والمؤمنون الضعفاء قد ينظرون إليه على أنه تطرف . لا تهتم ! إن إيمانك سيقدم لك السلام في وقت المرض ، وفي الدهر الآتي ، سيقدم لك إكليل المجد الذي لا يفنى . الوقت مقصّر والعالم يمضي . أمراض أخرى قليلة ثم سينتهي كل شيء . جنازات أخرى ثم تأتي جنازتنا . عواصف أخرى قليلة ثم نصل للميناء الآمن . في محضر المسيح سيكون الفرح الكامل . سوف يمسح الله كل دمة من عيون شعبه . وحتى ذلك الحين، لنحيا حياة الإيمان بأبن الله . هو يحيا ، لكننا نحن قد نموت . إنه حي وهو الوحيد الذي أبطل الموت ، وأنار لنا الحياة والخلود بواسطة الإنجيل . إن اليوم سوف يأتي حين يغيّر جسدنا الحقيق ، ويجعله مثل جسده الممجّد . لذا لنتكل بكل ثقة على الرب يسوع المسيح في وقت المرض كما في وقت الصحة ، في الحياة كما في الموت .